العلم والدين توأمان في الإسلام

إن الدارس للإسلام يعرف أن العلم والدين فيه توأمان.. حتى في هذا العصر الذي قطع العلم فيه أشواطاً تبدو مذهلة!

لم يصطدم الإسلام أبداً مع العلم.. بل على العكس ألقت المعارف الحديثة أضواء جلت لنا معاني القرآن.. وما فيه من روعة!

وفي هذا القرن الذي بدا فيه للغرب.. والعالم غير المسلم أن الحقائق والأفكار العلمية قد أجهزت على بقايا الفكر الديني- كان الأمر في العالم الإسلامي مختلفاً تماماً.. فقد ساعدت هذه الكشوف والحقائق العلمية ذاتها على إثبات ما في رسالة الإسلام.. والنص القرآني من إعجاز علمي يؤكد صدوره من قوى خارقة للطبيعة.. أي من وحي الخالق الأعظم!

وعلى رغم كل التيارات والدعاوى الفكرية التي تخبطت فيها عقول البشر.. فإن المعارف العلمية لابد أن تدفع العقل المحايد المتحرر من الأهواء إلى التأمل في قضية الإيمان.. فكثير من البحوث في ظواهر الطبيعة والحياة تؤدي بشكل تلقائي إلى تدبر المفاهيم الدينية!

مثل على ذلك:

ونضرب مثلاً لذلك بدراسات النظم الدقيقة التي تحكم بداية الحياة ونشأتها وتطورها: فكلما تعمقت الدراسة.. واتسعت المعارف أصبح من العسير علمياً أن نتقبل فكرة (الصدفة) كتعليل لتلك النظم!

ومما يبعث على الأسى والإشفاق – معاً – أن ينادي عالم فرنسي حاصل على جائزة نوبل بأن الخلايا الحية قد كونت نفسها فجأة باتحاد عناصرها الكيميائية في ظروف ما مواتية.. ثم تطورت هذه المادة الحية بنفسها أيضاً حتى وصلت إلى الإنسان بكل ما فيه من أنظمة معقدة.. وتلك آراء لا يقرها أي تفكير سليم.. لأن الدراسة العلمية الجادة لبيولوجيا الإنسان.. وغيره من الكائنات العليا.. إنما تؤدي إلى النقيض من هذا الادعاء تماماً.. وتؤكد وجود إرادة أسمى خارقة للطبيعة وراء خلق ونشأة وترتيب نظم الحياة وخصائصها وسلوكها.

وسنرى في هذه المحاضرة كيف تثبت لنا دراسة القرآن هذه المفاهيم.. وبوضوح شديد!

كما سأركز – بصفة خاصة – على ما جاء بالقرآن من حقائق علمية تتفق بمنتهى الدقة مع العلوم الحديثة!

وهو موضوع يشكل نقطة جذب كبير للدراسات العلمية المعاصرة!.. وبعد:

تأمل عبارات هذا العالم المدهش:

- دفعني انبهاري بما جاء بالقرآن الكريم من إشارات إلى معارف ومفاهيم لم يكتشفها العلم إلا في العصر الحديث.

- القرآن هو الكتاب الوحيد الذي من نوعه بين أيدينا الذي جاء بمعارف تسبق تدوينه بقرون.

- العلم والدين في الإسلام توأمان.

- لم يصطدم الإسلام أبداً مع العلم بل على العكس ألقت المعارف الحديثة أضواء جلت لنا معاني القرآن وما فيه من روعة.

- حاولت خلال دراستي هذه - وأظنني قد نجحت - التزام الأسلوب الموضوعي المجرد الذي يتبعه الطبيب عند فحص مريض جديد.. إذ يمحص كل أعراض المرض بعناية حتى يصل إلى التشخيص السليم.

- أصارحكم القول أنني عندما بدأت الدراسة لم يكن لدي أدنى اقتناع بالإسلام.. وكلما مضيت في الدراسة ازداد اقتناعي حتى أتاني اليقين في النهاية (أن هذا القرآن إن هو إلا وحي أوحاه الله إلى نبيه)

- إن مفكراً مرموقاً مثل ديكارت في القرن السابع عشر وغيره من المفكرين - حتى القرن التاسع عشر- ما فتئ يردد

نظرية أرسطو التي تفترض أن المياه تتكثف في مغارات باردة داخل الجبال ثم تتجمع في بحيرات جوفيه تنطلق منها العيون.. وقد أثبت علم الهيدرولوجيا أن دورة المياه الجوفية إنما تتم خلال عمليات تشرب التربة المسامية بالمياه ثم تتسرب منها إلى باطن الأرض وهو ما ينطبق تماماً على التعبير القرآني ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ [**الزمر** : ٢١].

– ظهر بجلاء مدى تطابق النص القرآني مع المعارف الحديثة على عكس مقولات الكتاب المقدس

– ترجع التناقضات بين الكتاب المقدس بعهديه: القديم والجديد في جانب.. وبين القرآن والعلم الحديث في الجانب الآخر إلى التباين في المصدر.. وملابسات التدوين لكلا الكتابين.. فبينما يضم العهد القديم مجموعات من تراث الأدب الشعبي والديني والتاريخي لبني إسرائيل.. وضعه وعدله البشر طوال تسعة قرون.. كما يضم العهد الجديد الأناجيل الأربعة التي وضعها متى ولوقا ومرقس ويوحنا إلى جانب رسائل بولس وغيرها.

فإن القرآن قد سلم – منذ نزوله – من تدخلات البشر.. فمن بداية نزول الوحي كان النبي صلى الله عليه وسلم

والمسلمون معه يحفظون ما ينزل منه آية آية – قبل جمعه وترتيبه – في حياة محمد صلى الله عليه وسلم حتى وصل إلينا اليوم كيوم نزل بلا تحريف ولا تعديل.

– إن مقارنة القرآن الكريم بمستوى المعارف السائدة في القرن السابع الميلادي – عصر نزول القرآن – ليدفع أي عالم منصف إلى القطع باستحالة أن يكون القرآن من وضع محمد صلى الله عليه وسلم.. ويؤكد المكانة الفريدة للقرآن بين سائر النصوص ككتاب تلقته البشرية نصاً يفوق مستوى معارف عصره لم يأت بشر فيه بحرف أو كلمة أو عبارة من صنعه.

ثم يلخص هذا العلماني الغربي:

السمات التي تؤكد أن القرآن وحي من الله

١ – **المنطقية**: فقد أنعم الله علينا بنعمة العقل والحكمة التي نميز بها بين ما هو معقول وبين ما يتعارض مع مبادئ المنطق.. ولا يصدر عن الله تعالى إلا الكلام المعقول الذي يتقبله كل عقلٍ سليم مجرد عن الهوى.

٢ – **الكمال**: لما كان الله الخالق الأعظم هو الكمال فلا بد أن يتسم كلامة وحده بالكمال والدقة وبالسلامة من الخطأ أو الحذف أو الإضافة أو تناقض العبارات وتضارب النسخ والصيغ.

٣- **العقلانية**: فلا يمكن لوحي الله أن تشوبه الخرافات والأساطير التي لا تليق بعظمة الله أو تنحط بعقل الإنسان.

٤- **العلمية**: لما كان الله هو الخالق العليم فلا بد للوحي أن يكون قبساً من علم الله.. وأن لا يناقض العلم والمعارف الصحيحة الثابتة في أي زمان ومكان.

٥- **علم الغيب**: استأثر الله وحده بعلم الماضي والحاضر والمستقبل معاً؛ لذا فكل ما جاء به من أنباء الماضي ونبوءات المستقبل لابد أن يثبت صدقها.

٦- **استحالة التقليد**: الوحي الصادق من الله تعالى لا يحاكيه بل ولا يدانيه كلام بشر.. وهو معجزة حية باقية.. وكتاب مفتوح لكل البشر.. يقرؤونه ويمحصون صدقة على امتداد الزمان والمكان.

هذه هي شهادة رجل من المسيحيين لم يبدأ بمقارنة القرآن والإنجيل والقرآن.. بل لم يكن لديه أدنى فكرة عن القرآن.. لكنه بدأ بدراسة كتابه المقدس حتى توصل إلى رفضه.. وعندما قدر له أن يعرف القرآن درسه كما درس تراثه لكن القرآن أدهشه وظل مأخوذاً به مأسوراً بإعجازه حتى أدلى بشهادته تلك:

[ويقول هذا العالم عن قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ** ﴾ [**النحل** : ٦٦] .

إن مركبات الحليب ترشح من الغدد الرضعية التي تتغذى من حصيلة الأغذية التي تصل بواسطة الدم السائل . . إذ يؤدي الدم دور المصدر والمورد للمواد المستخلصة من الأغذية ليجلب الغذاء للغدد الرضعية المنتجة للحليب كما تجلبه لغيرها من الأعضاء الأخرى . . وهنا كل شيء ينشأ من منطلق (وضع المحتوى المعوي بحضرة الدم في مستوى الجدار المعوي ذاته) .

هذا المفهوم الدقيق يرجع إلى أبحاث كيميائية وعضوية في عملية الهضم . . وقد كانت مجهولة تماماً في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم . . ومعرفتها تعود إلى الفترة الحديثة . . كما أن الدورة الدموية هي من توضيح (هاري) الذي ظهر بعد الوحي القرآني بما يقارب عشرة قرون (١٠٠٠) سنة . . وفي رأيي أن وجود الاية التي تشير إلى هذه المعلومات في القرآن لا يمكن أن يكون له تفسير بشري (أي لا يمكن إلا أن يكون من عند الله) .

زرقة السماء والعمى

دعونا نحلق نحو زرقة السماء نحو الفضاء في وضح النهار وسنعود في وضح النهار ذاته.. إن الآية تقول لنا ونحن على سطح الأرض وقبل أن نغادر: ﴿**وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ**﴾ الآية تخبرنا أننا سنواجه ظلاماً وكأننا أصبحنا عمياً.. يقول عن ذلك موريس بوكاي:

(لقد عاش هذه الغمرة الدهشة المعجزة رواد الفضاء منذ سنة (١٩٦١م) تاريخ أول طيران بشري حول الأرض.. والواقع أننا نعرف أن السماء تبدو للمراقب الإنسان السابح في الفضاء خارج جو الأرض سوداء لا بصورتها الزرقاء الظاهرة لسكان الأرض التي هي نتيجة عمليات امتصاص لضوء الشمس من طبقات الجو.. أما الأرض فتبدو ملفوفة بهالة من اللون المشرب بالزرقة ناتج أيضاً عن نفس عمليات الامتصاص للضوء من الفضاء الأرضي.. حيث يبدو القمر الذي ليس له فضاء خاص به بألوانه الخاصة في العمق الأسود للسماء إنه مشهد جديد جداً بالنسبة للإنسان.. ثم يختم بقوله: لا يمكننا أن نفترض ظهورها من فكر إنسان عاش منذ أربعة عشر قرناً)

قوله تعالى: (وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) (وجعلنا سراجاً وهاجاً) لقد دهش من الدقة العلمية

فقال: **(يبدو في أيامنا كأنما هو من قبيل السحر) (ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير) (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل)** ويقول: كما لو كان الناس قد تصوروا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم أن الأرض كروية وذكر ما شاهده رواد الفضاء وآلات تصويرهم حول هذا الإعجاز وذكر الاعجز العلمي في المواضيع التالية:

(الارتفاع والصعود في الجو) (كهربية الجو ونزول المطر) (تكون الظل ودور الشمس في ذلك) (دورة المياه والبحار) (النتوء الأرضي) (وتدية الجبال) (عالم النبات) (اختلاف الأغذية) (وجود مجموعات الحيوانات) (النحل والعناكب والطيور) وغيرها كثير.. ثم يسلم بأن القرآن من عند الله فيقول: **(وبالنظر إلى حال المعارف في عصر المعارف في عصر محمد صلى الله عليه وسلم لا نستطيع أن نفهم بأن كثيراً من الأخبار القرآنية التي لها سمعة عملية يمكن أن تكون عمل إنسان)**.

هذه شهادة عالم علماني تجريبي مارس الديموقراطية الثقافية مع تراثه ومع القرآن فوصل إلى هذه النتيجه المذهله نهديها للمرتدين منا نهديها للعلمانيين غير التجريبيين الذين لا يعرفون من العلم التجريبي شيئاً.. والذين يحاولون إلقاء

التهم على القرآن ونقد نصوصه والطعن في مصداقيته دون منهج علمي رصين.. أمثال أدونيس وحامد أبو زيد وأركون الذين لا يمتون للعلم التجريبي بصلة.. وهم البنية التحتية للعلمانية العربية الفاشلة.. إنهم مجرد أدباء واساتذة لغة وتاريخ فأين هم من هذا العلماني الغربي التجريبي موريس بوكاي وغيره ممن بهرهم القرآن بنصوصه فأسلموا.. لقد عاش العالم كله مع الأدباء والشعراء واساتذة التاريخ والسياسة آلاف السنوات فلم يتقدم خطوة واحدة.. ولما جاء العلماء التجريبيون فقط قفزوا بالعالم والعلم إلى ما هو عليه اليوم.. لسنا بحاجة إلى أدونيس وأركون وغيرهما كي يقرأو القرآن قراءة مختلفة.. نحن بحاجة إلى أمثال بوكاي الذي مارس الديموقراطية الثقافية على كتبه فرفضها.. ولما طبق تلك الديموقراطية على القرآن هزمه القرآن وهو الطبيب البارع لا الشاعر أو استاذ علم الاجتماع أو التاريخ.. إن العلمانيين العرب أجبن من أن يمارسوا الديموقراطية التى مارسها موريس بوكاي.. لكن لديهم شيء ضد القرآن.. هو: الهوى.. العناد.. حب الظهور.. كل شيء إلا العلم والنقد العلمي الرصين.

الغرب المسيحي يعترف

هناك في الغرب.. المجامع الكنيسة.. العلماء.. النقاد.. العباد يعترفون ويقرون بأخطاء التوراة.. بما فيها من تناقض.. يعترفون بأساطيرها. ويأمرون الإنسانية بالإيمان بها فقط.. مع التخلي الكامل عن العقل و النقد.

يقول الأب (دوفو)وهو يقدم لسفر التكوين طالباً التخلي عن العقل:

(التوراة لا تخضع لأي من هذه القوانين.. وإذا أريد مقابلتها مع معطيات هذه العلوم فلا يمكننا الوصول إلا إلى مجابهة غير حقيقية أو إلى توافق مصطنع).

إنه يقرر أن حقائق العلم تناقض التوراة مناقضة لا سبيل إلى الهروب منها أو إنكارها..

ثم يبين استحالة التوفيق بينهما.. ثم تأمل قوله الذي ينضح بالهوى والعاطفة ويرفض الواقع والحقيقة:**(إنا نستعين بالعلم إذا كان نافعاً في تثبيت التوراة.. أما إذا كان يدحضها فإنا نرفض الرجوع إليه)**.. إذاً فهو يرفض الحقيقة العلمية.. لأنه يهوى التوراة.. يحبها.. إنه كمن يدفن رأسه في الرمل كي لا يشاهد الكارثة.. وبدلاً من البحث عن أسبابها ومحاولة علاجها يضيف إلى عناده وتخلفه عناداً

أشد وتخلفاً أسوأ.. ألا وهو إنكار وجود كارثة حول حقيقة التوراة..

ويقول (ول ديوارنت):

(إن اليهودية استوعبت أساطير الجزيرة العربية.. والفكر الفارسي.. وإن هذه الأساطير كانت معيناً غزيراً لأسفار التوراة).

ويقول (نولدكه) في كتاب (اللغات السامية):

(جمعت التوراة بعد موسى بسبعمائة عام.. استغرق تأليفها وجمعها زمناً متطاولاً جداً.. تعرضت حياله للزيادة والنقص.. وإنه من العسير أن نجد جملة متكاملة في التوراة مما جاء عن موسى.. لأن التوراة لم تدون في عهد موسى ولا في الجيل الذي تلاه).

ويقول (هربت فيشر) في (تاريخ أوربا الحديث):

(إن الأسفار القديمة غدت منذ عام١٨٦٤ م تقريباً موضع الفحص الدقيق و الامتحان الشديد.. وغدت التوراة كتاباً عادياً لا سفراً مقدساً له مكانته المقدسة).

وتقول دائرة المعارف الفرنسية تحت عنوان (توراة):

(إن العلم العصري ولاسيما النقد الألماني قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة في الآثار القديمة.. والتاريخ.. وعلم

اللغات..أن التوراة لم يكتبها موسى.. وإنما كتبها أحبار لم يذكروا أسماءهم عليها.. ألفوها على التعاقب.. معتمدين على رويات سماعيه سمعوها قبل أسر بابل).

ويقول(جورج طعمة):

(بأن القول بأن كل كلمة وكل نقطة من النصوص المقدسة هي وحي إلهى حرفي أمر بالغ الخطورة..كان الناس يعتقدون جيلاً بعد جيل أن الكتب الخمسة الأولى من التوراة:

التكوين.. الخروج.. اللاوين.. العدد.. التثنية..كتبها كلها النبي موسى.. مع أن مثل هذا القول لا يرد في التوراة ذاتها.. ولكن حين طبقت مقاييس البحث العلمي التي استعملت في دراسة وثائق القرون الوسطى ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الأمر خلاف ذلك).

وأشار القس الفرنسي (رتشاد سيمون)عام ١٦٧٨م إلى:

(أن التوراة كما هو متداول يعتمد على مخطوطات ترجع إلى القرون الوسطى.. وإن كثيراً منها ذات مصدر مجهول.. أو مشكوك فيه.. وإن النساخ من الرهبان قد أدخلوا فيها كثيراً من الأخطاء والتحريفات).

و الاعترافات كثيرة جداً وتحتاج إلى مساحة أكبر.. وسأختمها باعتراف مجمع الفاتيكان الثاني..والذي استمر النقاش ودامت الدراسة فيه ثلاث سنوات(١٩٦٢- ١٩٦٥م).لقد خرج هذا المجمع بإعلان وافق عليه (٢٣٤٤) صوتاً.. وعارضه (٦) أصوات.. فماذا يقول هذا الإعلان البالغ الخطورة الصادر عن مجمع لا يعلى عليه عندهم .إنه يقول:

(إن كتب العهد القديم تسمح للكل بأن يعرف من هو الله.. ومن هو الأنسان.. فضلاً عن الطريقة التى يتصرف بها الله مع الناس بعدالته ورحمته.. هذه الكتب رغم كونها تحتوي النقص والعجز هي أيضاً من الشواهد على تربية إلهية حقيقية).

لقد اعترف المجمع بأن هناك نقصاً.. وبأن هناك عجزاً لا يمكن الهرب منه ولا إنكاره.. وما سبق معنا أكبر دليل على ذلك.. لكن المجمع يوصي بالأخذ ويوصي بالرضا والقبول بالخطأ رغم أنه خطأ.

إننا لا نحتاج إلى أكثر من هذا الاعتراف.. فهل أدرك كل منا طبيعة الأرض التي يقف عليها..

أرجوذلك.

الفهـرس

القرآن والإنجيل والتوراة ٥
التوراة.. متى أنزلت.. متى كتبت ٩
اختفى التابوت و التوراة ١٠
تدمير التوراة ١٢
اللغم الأول ١٣
اللغم الثاني ١٤
اللغم الثالث ١٤
اللغم الرابع ١٦
اللغم الخامس ١٧
اللغم السادس ١٧
اللغم السابع ١٨
اللغم الثامن ١٨
لغة التوراة ١٨
الإنجيل كيف صار أناجيلا ١٩
القرآن واحد ٢١
لغة الإنجيل والأناجيل ٢٢
لغة القرآن ٢٣
قصة تعميم مصحف أبي بكر ٢٦
متى كتبت الأناجيل؟ ٢٨

متى كتب القرآن؟ ٢٩
سند الإنجيل ٣٢
كيف يكتشف المسلمون الأخطاء ويتلافونها؟ ٣٧
سند القرآن ٤٤
شيء عجيب ٤٨
عثمان والمصحف ٤٩
لجنة أخرى لنسخ المصاحف وتحقيقها ٥٠
عندما تخاطبك التوراة.. عندما يخاطبك الإنجيل ٥٤
عندما يخاطبك القرآن ٥٥
الله في التوراة والإنجيل والقرآن ٥٧
الله في التوراة ٥٧
هل الله يتعب؟! ٥٨
الله يأمر نبيا بأكل البراز ٥٩
الله يصارع يعقوب فيهزمه يعقوب ٦٠
(صراع يعقوب مع الله) ٦٠
الله في الإنجيل ٦٢
الله سبحانه في القرآن ٦٣
كيف تتحدث التوراة عن الأنبياء؟ ٦٥
أبو الأنبياء يزني ٦٦
تلويث طهارة لوط وبناته ٦٧
يعقوب والدياثة ٦٩
نبي يرتكب ما لا يرتكبه أخس المجرمين ٧١

منشور إباحي ٧٣
عبارات تخجل الكنيسة من تلاوتها أمام الناس ٧٤
القرآن والأنبياء ٧٦
المـــرأة ٧٩
التوراة والمرأة ٨٠
يتحول الرجل إلى امرأة في التوراة ٨٥
رقة نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم وجماله ٨٦
حالة مرضية يحولها الكتاب المقدس إلى نجاسة ٩٠
ثم ماذا ٩٢
لماذا تكثر الدعارة بين المسيحيات واليهوديات؟ ٩٤
ماذا عن المرأة عندما ترتكب السفاح ما هي عقوبتها في التوراة ٩٦
التوراة تأمر برجم الفتاة المغتصبة ٩٧
المرأة المطلقة في التوراة ٩٧
الأرملة قطعة أثاث في التوراة ٩٨
المرأة في الإنجيل ٩٩
لماذا تنحرف الفتاة الغربية ١٠٢
ماذا يقول بولس عن الزواج ١٠٥
مصيبة المطلقة في الإنجيل ١٠٦
دعوة للدعارة ١٠٧
المطلقة زانية عند المسيحيين ١١٠
كيف تكون العفيفة مريضة ١١٢

معركة التوراة والعلم الحديث ١١٥
العلم على أرض سفر التكوين ١١٦
سفر الخروج ١٢٠
سفر اللاويين ١٢١
سفر العدد ١٢١
سفر التثنية (الفضيحة) ١٢٢
فضيحة موت موسى ١٢٢
الإنجيل والعلم الحديث ١٢٣
نسب عيسى (اليسوع) ١٢٣
القرآن والعلم الحديث ١٢٦
شهادة عالم تجريبي في القرآن ١٢٧
طبيب غربي تحمله العلمانية نحو القرآن ١٢٧
الطبيب الفرنسي في مصر ١٢٨
العلماني الفرنسي في السعودية ١٢٨
الطبيب الغربي يهرب من الكنيسة إلى القرآن ١٢٩
القرآن والعلم الحديث ١٢٩
الدافع إلى إعداد هذه المحاضرة ١٣٠
العلم والدين توأمان في الإسلام ١٣١
تأمل عبارات هذا العالم المدهش ١٣٣
السمات التي تؤكد أن القرآن وحي من الله ١٣٥
زرقة السماء والعمى ١٣٨
الغرب المسيحي يعترف ١٤١